

طلب العلم بين المدرسة، والأسرة، والمجتمع، ووظيفة الأبوين في تدعيم عملية التعلم والتعليم



الهدف:

استكشاف أهم المؤثرات في مسيرة الطالب من خلال نماذج الأسرة والمدرسة.

مباحث الموضوع

١. البحث على طلب العلم
٢. من آثار العلم
٣. لزوم العناية بالطالب

تصدير:

النبى الأعظم ﷺ: «يَجِيءُ الرَّجُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَالسَّحَابِ الرَّكَامِ، أَوْ كَالجِبَالِ الرَّوَاسِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذَا وَلَمْ أَعْمَلْهَا؟ فَيَقُولُ: هَذَا عِلْمُكَ الَّذِي عَلَّمْتَهُ النَّاسَ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِكَ»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص١٨، ح٤٤.

كلمة على طلب علم قول علي بن أبي طالب عليه السلام: «قَدَّرَ كُلَّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ»^(١٠).

لزوم العناية بالطالب:

إنَّ الخطر العظيم الذي يقع عليه العلم استلزم أن يُحاطَ كُلُّ مَا يَتَّصِلُ بِشَأْنِهِ بِكُلِّ عناية، وذلك من جانب الأسرة، لا سيما الأبوين، وكذلك من جانب المدرسة. معارف وتربية، ومناهج وأساليب. فيجب أن تشمل هذه الجهات الطالب بالرعاية الكافية، والحماية اللازمة؛ وكذلك يجب أن يراعى بناء شخصية الطالب بما يحقق التوازن في مختلف الجوانب. ولكن، وعلى كل حال، فإن هناك عوامل رئيسة تؤثر في بناء شخصية الطالب، نذكر أهمها، إلى جانب تأثيرها.

أ. الأسرة:

لا يخفى أن للأسرة دوراً مصيرياً في حياة الأبناء، فإنها كمحيط أول وبيئة مُستقبلة للإبن بمثابة المعهد الذي يتلقى فيه الإبن

العلم،^(٤). وقد جعل فريضة يُتَعَبَدُ بها إلى الله، فعن الصادق عليه السلام: «طلب العلم فريضة من فرائض الله»^(٥). وقد ندب الإسلام إلى الهجرة وطى المسافات في سبيل تحصيله، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(٦).

من آثار العلم:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أما العلم فيتشعب منه: الغنى... والجود...، والمهابة...، والسلامة...، والقرب...، والحياء...، والرفعة...، والشرف...، والحكمة، والحظوة؛ فهذا ما يتشعب للعاقل بعلمه»^(٧).
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً»^(٨).

وعن علي عليه السلام: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»^(٩).
ويقول إمام أهل اللغة طراً بعد النبي وآله، صلوات الله عليه وآله، الخليل بن أحمد الفراهيدي: «أحسُّ

البحث على طلب العلم

لا يخفى على عاقل أنّ العلم أحد أعظم الكمالات المنشودة، والتي يطلبها الإنسان من خلال نداءات الفطرة النازعة إلى كل كمال، ومن خلال دأب العقول؛ حيث إنه «منير العقل ومميت الجهل»، كما عن الأمير عليه السلام^(١).

وهو «حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان من الضعف»، كما عنه عليه السلام^(٢).

«فالعالم رأس كل خير، والجهل رأس كل شر»، كما عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم^(٣).

من أجل ذلك، كان البحث على طلب العلم من جميع المسلمين، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم؛ ألا إن الله يحب بغاة

(٤) الكليني في أصول الكافي، ج١، ص٢٠، ح١.

(٥) البحار، ج١، ص١٧٢، ح٢٧.

(٦) كنز العمال للمفتي الهندي، ح٢٨٦٧.

(٧) تحف العقول لابن شعبة الحراني، ص١٦.

(٨) أمالي الصدوق، ص٢٧، ح٤.

(٩) نهج البلاغة، حكمة ٨١.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للقاضي الأمدي، ١٧٣٦٢.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق، ص٤٩٢، ح١.

(٣) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج٧٧، ص١٧٥.

(١٠) أمالي الشيخ الطوسي، ص٤٩٤، ح١٠٨٢. وقال الجوهري في الصحاح: يحسنه أي يعلمه.

الدروس الأولى في الحياة. ويمكن أن تؤسس الأسرة مساراً للحياة، بحيث يكون تأثيرها قاسماً في غرس بذور المعاني الإنسانية، وتأسيس قيم الجِدِّ والاجتهاد، والتزام سُبُل الخير والهداية والصلاح، واعتناق العقائد الحقّة ثقافة وفكراً؛ وكذلك تلقّف فضائل الأخلاق ومعالي الخصال، ليصبح كل ذلك أساساً للشخصية المقتدرة الخيرة، النازعة، إلى تحصيل عوامل المنفعة وأسباب القوة، وأبرزها الشغف في سبيل العلم واكتساب المعارف. أو أن تتحوّل الأسرة إلى معهد يحمل الابن على سلوك سبيل مخالف تماماً، بحيث يتحوّل شخصية تبتعد عن الفطرة السليمة، وتهزأ بقيم الحقّ، وتسخر من معاني الإنسانية، بحيث تصل إلى درجة التضحية بها على مذبح النزوات والأهواء، والمصالح الفردية الضيقة ويستحيل الابن بالتالي موعولاً يهدم معالم الإنسانية ويسدّ طرق الخير والهداية والصلاح.

١- الأبوان:

يمثّل الأبوان أهمّ العناصر القابلة للتأثير في الولد، وهما يُعتبران الأسوة التي على أساسها تنمو قوى النفس عند الولد، والقودة التي يتبعها هوى الطفل، ومعها تنفتح مداركه، ومعها تتحرّك مشاعره وعواطفه.

فالولد يرى ومنذ بداياته جميع الحركات من حوله، وكذلك الأعمال والسلوك؛ ويتعلّمها تدريجاً. ويجب أن نعلم أنّ الولد يكتسب الكثير من

العادات، نتيجة التجربة والعمل وتبقى معه إلى آخر حياته.

وإنّ الأبوين هما الحارث الأوّل في عقل الطفل وفي نفسه، فإنّما يفرسان فيه الصدق والكذب، الأمانة أو الخيانة، الشجاعة أو الجبن والخوف، رباطة الجأش في الشدائد أو الاستسلام. وأيضاً الاستقامة والثبات، أو التلوّن والتذبذب والنفاق.

فما أفضل من أن يرى الولد أبويه مقبلين على الاستزادة من العلم والمعرفة، فاتحين عقليهما على الحكمة والثقافة النيرة. وأن يزينا هذه المعارف بالأخلاق الحسنة، ليكونا بذلك من أهل العلم المشفوع بمعالي الفضائل وإليك نبذة من الروايات في هذا المقام: عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلم السكينة والحلم»**^(١).

وعن الصادق عليه السلام: **«اطلبوا العلم، وتزيناوا معه بالحلم والوقار»**^(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: **«زينة العلم الإحسان»**^(٣).

وعن علي عليه السلام: **«خفض الجناح زينة العلم»**^(٤).

ب- الإخوة:

الأسرّ التي يعيش فيها إخوة كبار وآخرون صغار، نجد أنّ هناك انجذاباً متبادلاً، غالباً، بين الكبير والصغير؛ فإنّ الكبير يشمل الولد بالرعاية والاحتضان والاهتمام؛ والصغير من

جهته يتأثر به، فيأخذ منه الكثير، وقد يصبح مصدر استلهام للأفكار والحركات، ومورد اقتداء في الأخلاق والمواقف والسلوك.

ب- المدرسة:

تحتل المدرسة مكانة مرموقة في سلّم المؤثرات في وعي الولد، ونوعية المعارف، ومضامين العلوم، وأنماط السلوك، والبناء العاطفي والمعرفي، وخلق الشخصية المتوازنة؛ وذلك من خلال المناهج التعليمية، والبرامج التربوية، وأنواع العلاقات التي تعمل على إنشائها بين أفراد الهيئة التعليمية وبين الطلاب.

وبناءً عليه، فمن الواجب المؤكّد على الأبوين أن يتوخّيا جانب الدقّة الشديدة في اختيار المدرسة للولد. وقد قال تعالى: **«فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ»**^(٥). وعن الباقر عليه السلام: **«في قوله تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ»، علمه الذي يأخذه ممّن يأخذه»**^(٦).

وعن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: **«عجب لمن يتفكّر في مأكوله كيف لا يتفكّر في معقوله؛ فيجنّب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه»**^(٧).

ومن الجدير التنبيه إلى أنّ هناك عوامل أخرى مؤثرة في شخصيته وسلوك الطالب، كالرفاق والأقران، وآخرين من الأقارب والجيران، إضافة إلى الشخصيات المؤثرة في الحياة العامّة، كالعلماء والقادة...



(٥) سورة عبس، الآية: ٢٤.

(١) البحار، ج ٢، ص ١٣٧، ح ٤٩.

(٢) أمالي الصدوق، ص ٢٩٤، ح ٩.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٢٩٥، ح ١٠.

(٦) المحاسن للبرقي، ج ١، ص ٣٤٧، ح ٧٢٤.

(٧) البحار، ج ١، ص ٢١٨، ح ٤٨.

(٤) كشف الغمّة للعلامة الأربلي، ج ٢، ص ١٣٧.